بشرى المسلمين بفضل الشاكرين

جمع وتحقيق الفقير إلى الله تعالى
عبد الله بن جار الله الجار الله
غفر الله له ولوالديه والمسلمين

أمـــوت ويبقـــى كـــل مـــا كتبتـــه
فيا ليـــت مـــن يقـــرأ كتـــابي دعـــا ليـــا
لعـــــل إلهـــــي أن يمـــــن بلطفـــــه
ويـــــرحم تقصـــــيري وســـــوء فعاليـــــا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلقنا ورزقنا وعافانا، وأطعمنا وسقانا، وكسانا وآوانا، وعلمنا ما لم نكن نعلم، والحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا وجعل لنا الأسماع والأبصار والأفئدة لكي نشكره على ذلك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الشاكرين وسيد الخلق أجمعين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن نعم الله تعالى علينا لا تعد ولا تحد ولا تحصى كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وأعظم النعم نعمة الإسلام الذي أُرسل به محمد ﷺ وأُنزل به القرآن العظيم هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فقد أرسل الله إلينا أفضل رسله وأنزل عليه أشرف كتبه وشرع لنا أفضل شرائع دينه وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، ومن أعظم النعم نعمة الخلق والإيجاد والإعداد والإمداد، ومن أعظم النعم خلق الإنسان في أحسن تقويم يتمتع بالعقل والسمع والبصر والشم والذوق قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨-١٠].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] ومن أعظم النعم نعمة الحياة والصحة والعافية ومن أعظم النعم نعمة الأمن والاستقرار.

ولا يعرف قدر النعمة إلا عند فقدها كما قال بعض السلف: لا يعرف قدر الصحة إلا المرضى، ولا يعرف قدر العافية إلا المبتلى، ولا يعرف قدر الشباب إلا من قد شاب، ولا يعرف قدر الحياة إلا الموتى، وسبب بقاء النعم وزيادتها هو شكرها بالقلب محبة لله المنعم المتفضل، وباللسان ثناء على المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله، وبالجوارح عملاً بطاعته مع الإخلاص لله فيها وإكمالها وإتمامها وأدائها على الوجه المشروع، ولكل مطلوب مفتاح يفتح به، ومفتاح المزيد الشكر لله بالقلب واللسان والعمل كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] وبناء على أهمية الشكر لله في حياة المسلم وعظم مكانته في الدنيا والآخرة وحسن عاقبته فقد جمعت فيه ما تيسر مما يتعلق بهذا الموضوع من فضل الحمد والشكر والفرق بينهما وبيان منزلة الشكر عند الله، وأنها من أعلى المنازل وأرفعها ووجوب شكر المنعم على النعم الظاهرة والباطنة الخاصة والعامة وبيان موجبات الشكر وفي مقدمتها الإسلام والصحة وحصول القوة والأمن والاستقرار.

وبيان نعم الله العظمى وعاقبة الكفر بها وهو العذاب الشديد أعاذنا الله والمسلمين منه، وكيف ينظر العبد إلى نعم الله بأن ينظر بالنسبة للرزق والصحة ومتع الحياة إلى من هو أسفل منه لئلا يحتقر

نعم الله عليه، وينظر بالنسبة للعلم والدين والعبادة إلى من هو فوقه لينافسه في ذلك وهي مستفادة من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ وكلام المحققين من أهل العلم أسأل الله تعالى أن ينفع بها من كتبها أو طبعها أو قرأها أو سمعها وأن يوزعنا وإخواننا المسلمين شكر نعمه وحسن عبادته اللهم لك الحمد والشكر والثناء كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الله بن جار الله آل جار الله

فضل الحمد والشكر[١]

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ﴾ [الإسراء: ١١١] وقال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ أُتى ليلة أُسرى به بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن، قال جبريل عليه السلام: «**الحمد لله الذي هداك للفطرة[٢] لو أخذت الخمر غوت أُمتك**» (رواه مسلم)[٣].

---

(١) رياض الصالحين بأحاديث سيد المرسلين ﷺ بتحقيق شعيب الأرنؤوط (٥٢٧).

وانظر: كتاب حمد الله تعالى في كتاب الأذكار للإمام النووي (٩٤).

(٢) الفطرة هنا: الاستقامة على الدين الحق.

(٣) مسلم (١٦٨) وأخرجه البخاري (٨/ ٢٩٧، ١٠/٢٦، ٢٧) واللفظ له.

وعنه عن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمر ذي بال**[١] **لا يُبدأ فيه بـــ(الحمد الله) فهو أقطع**» (حديث حسن، رواه أبو داود[٢] وغيره).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع**[٣] **فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد**» رواه الترمذي[٤] وقال: حديث حسن.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة**[٥] **فيحمده عليها ويشرب الشربة، فيحمده عليها**» رواه مسلم[٦].

---

(١) ذي بال، أي شأن يهتم به شرعًا، وقول ﷺ فهو أقطع أي: ناقص.

(٢) أبو داود (٤٨٤٠) وأخرجه ابن ماجه (١٨٩٤) وأحمد (٢/ ٣٥٩) وفي سنده قرة بن عبد الرحمن المعافري قال أحمد: منكر الحديث جدًّا. وعن ابن معين أنه ضعيف، وقال أبو داود بعد أن أخرجه من حديث قرة مسندًا: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٣) استرجع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٤) الترمذي (١٠٢١) وهو حسن كما قال.

(٥) الأكلة: المرة من الأكل، وكذلك الشَّربة.

(٦) مسلم (٢٧٣٤).

الفرق بين الحمد والشكر

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

عن «الحمد والشكر» ما حقيقتهما؟ هل هما معنى واحد، أو معنيان؟ وعلى أي شيء يكون الحمد؟ وعلى أي شيء يكون الشكر؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين.

«الحمد» يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان على الإحسان إلى الحامد، أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ﴾ [الأنعام: ١]، وقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾[سبأ: ١] وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

وأما «الشكر» فإنه لا يكون إلا على الأنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

و«الحمد» إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه، ومن هذا الحديث «الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره»[١] وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[٢] والله أعلم[٣].

---

(١) رواه عبد الرزاق في الجامع والبيهقي في شعب الإيمان ورمز السيوطي لحسنه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ١٣٣).

فضل الشكر

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه الظاهرة والباطنة، لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، أرسله رحمة للعالمين، وحجة على الخلق أجمعين. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين. وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله تعالى. يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

عباد الله: إن الله قد أسبغ عليكم نعمه، وأمركم بشكره، ووعدكم إذا شكرتموه أن يزيدكم، وتوعدكم إذا لم تشكروه بالعذاب الشديد. فانظروا موقفكم مع نعم الله، وتأملوا أحوال من قبلكم وأحوال من حولكم ممن تنكروا لنعم الله واستكبروا في الأرض كيف دهمهم أمر الله فبُدِّلوا بالنعمة نقمة وبالأمن خوفًا، وبالغنى والشبع فقرًا وجوعًا، فاحذروا أن يحل بكم مثل ما حل بهم، فلقد أنعم الله عليكم بنعم لم تكن موجودة عندهم من سعة في الأرزاق ورفاهية في الملابس والمساكن والمراكب وصحة في الأبدان.

وأمن في البلدان، وأعلى من ذلك وأغلى أن اصطفى لكم الدين الحنيف وأقامكم على المحجة البيضاء والملة السمحاء، فاشكروا له ولا تكفروه، واذكروه ولا تنسوه.

وأطيعوه ولا تعصوه. ولا تكونوا كالذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

عباد الله: إن حقيقة الشكر هي: الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، وشكر العبد لربه يدور على ثلاثة أركان لا يكون العبد شكورًا إلا بمجموعها:

أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه في قرارة قلبه بأن يعترف بأن هذه النعم واصلة إليه من الله سبحانه تفضلا منه وإحسانا لا بحوله ولا بقوته.

الثاني: التحدث بهذه النعم ظاهرًا فيثنى على الله ويحمده ويشكره فلا ينسب النعم إلى غير الله كما قال قارون لما نصحه قومه وقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦، ٧٧] فكان جوابه إنكار فضل الله عليه وأن هذه الكنوز وهذه الأموال التي بيده إنما حصلت له بسبب علمه وخبرته أو استحقاقه لها: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] فماذا كانت النتيجة. كانت أسوأ النتائج حيث خسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

الركن الثالث– من أركان شكر النعمة–: الاستعانة بها على مرضاة الله فيستعملها في طاعة الله أما إذا استعمل نعمة الله في معصيته فقد كفر نعمة الله عليه فالذي يستعمل قوى جسمه وصحته وينفق أمواله في معصيه الله قد كفر نعمة الله عليه واستحق عقوبته.

عباد الله: إن رسل الله عليهم الصلاة والسلام هم القدوة الكاملة للخلق وهم أكمل الناس شكرًا لله عز وجل فقد أثنى الله على نوح عليه الصلاة والسلام أول رسله بأنه كان عبدًا شكورًا، وذكر سبحانه عن نبيه داود وسليمان أنه آتاهما علمًا فقالا: عند ذلك اعترافًا بنعمة الله عليهما: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥] فشكرا ربهما على ما أعطاهما من العلم، ثم أخبر عن سليمان عليه السلام أنه أثنى على ربه واعترف بفضله حينما أورثه النبوة عن أبيه وعلَّمه منطق الطير وآتاه من كل شيء مما يحتاجه الملوك. قال سبحانه ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

ولما حُشر له جنوده من الجن والإنس والطير. وسمع كلام النملة حينما مر بها مع تلك الجنود الهائلة قال معترفًا بفضل الله عليه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ولما تم له مطلبه من إحضار عرش بلقيس لديه واستقراره عنده في أسرع وقت اعترف أن هذا ليس بحوله ولا بقوته وإنما هو تفضل من الله عليه ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] وهذا نبي الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام حينما منَّ الله عليه بالملك والعلم وجمع له الشمل بوالديه وإخوته رأى أنها قد تمت عليه النعمة فشكر لربه وسأله حسن الخاتمة وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وهذا خاتم النبيين وسيد المرسلين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قام على قدميه في الصلاة حتى تفطرتا من طول القيام فقالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يا رسول الله لم تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال يا عائشة: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

عباد الله: هؤلاء هم القدوة الأخيار فاقتدوا بهم واشكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وأعمالكم فإنه لا يكفي أن تتلفظ بالحمد والشكر بلسانك وقلبك غافل معرض أو جاحد مستكبر، وأفعالك بخلاف ما يرضي الله، فالشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد. والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور، وكفها عن معاصيه.

عباد الله: لقد قص الله علينا في القرآن الكريم ما حل بالأمم

التي كفرت بأنعم الله من قصم الأعمار، وخراب الديار ما تقشعر منه الجلود، من ذلك ما قصة عن بني إسرائيل في مواضع من كتابه الكريم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢]، ومن ذلك ما قصة عن قبيلة سبأ التي أنعم عليها بالجنتين وقال لهم: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥] فأعرضوا عن الشكر وكذبوا الأنبياء فأرسل الله عليهم سيل العَرِم وهو الوادي الممتلئ بالماء الغزير الذي أغرق ديارهم وأهلك حروثهم وأشجارهم فبُدِّلوا بالغنى فقرًا وبالنعمة نقمة وبالاجتماع تفرقًا وتشتتًا في البلاد قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩] حتى صار يضرب المثل بتفرقهم وتشتتهم فيقال للقوم إذا تفرقوا: (تفرقوا أيدي سبأ) أي كما تفرقت سبأ، ومما ضربه الله لنا مثل القرية قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] أي جعل الله هذه القرية مثلا لمن أنعم الله عليه فكفر بالنعمة فأنزل الله عليه النقمة.

حيث وفر الله لأهل هذه القرية الأمان والاطمئنان والرزق الرغد الذي يُجلَبُ إليها من جميع النواحي فلما لم يشكروا هذه النعم تحولت إلى أضدادها، فبُدِّلوا بالرزق الرغد جوعًا وبالأمن والاطمئنان خوفًا وقلقًا.

فاتقوا الله عباد الله: واشكروا نعم الله التي أسبغها عليكم، أدوا

ما أوجب الله عليكم وتجنبوا ما حرم الله عليكم، حافظوا على الصلوات واحضروا الجمع والجماعات وأدوا زكاة أموالكم، تجنبوا المعاملات المحرمة والمكاسب الخبيثة، طهروا بيوتكم من آلات اللهو ومن الصور ومن سائر المحرمات، خذوا على أيدي سفهائكم، امنعوا نساءكم من التبرج والسفور واتخاذ الملابس التي تغضب الله ورسوله.

ربوا أولادكم بتربية الإسلام وعلموهم القرآن، وجنبوهم مواطن الفساد وقرناء السوء وأدبوهم إذا رأيتم منهم ما يستوجب التأديب. وخذوهم بالحزم والحكمة، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا[1].

---

(١) خطب الشيخ الدكتور صالح الفوزان (١/ ١٦٧).

منزلة الشكر

ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة «الشكر» وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة «الرضا» وزيادة، فالرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه.

وهو نصف الإيمان والإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر.

وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته واشتق لهم اسمًا، من أسمائه فإنه سبحانه هو «الشكور» وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورًا. وهو غاية الرب من عبده وأهله هم القليل من عباده قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٢/ ١٧] وقال سبحانه: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [٢/ ١٥٢] وقال سبحانه عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [١٦/ ١٢٠، ١٢١] وقال: عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [١٧: ٣] وقال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [١٦: ٧٨] وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢٩: ١٧] وقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [٣: ١٤٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [١٤: ٧]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [٣١: ٣١].

وسمى نفسه «شاكرًا» و«شكورًا» وسمى الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه، وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلا.

وإعادته للشاكر مشكورًا كقوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [٧٦: ٢٢] ورضا الرب عن عبده به كقوله: ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [٣٩/ ٧] وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [٣٤/ ١٣].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ «أنه قام حتى تورمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟».

وقال لمعاذ «والله يا معاذ، إني لأحبك، فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»[(١)].

وفي المسند والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «**كان يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم أَعنِّي ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر بي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا، إليك**

(١) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

أواها منيبًا، رب تقبل توبتي. واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي واهد قلبي، وسدِّد لساني، واسلل سخيمة صدري».

قواعد الشكر

وأصل: «الشكر» في وضع اللسان: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهورًا بينًا يقال: شكرت الدابة تشكر شكرًا على وزن سمنت تسمن سمنًا: إذا ظهر عليها أثر العلف، ودابة شكور: إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل، وتعطى من العلف.

وفي صحيح مسلم «**حتى إن الدواب لتشكر من لحومهم**» أي لتسمن من كثرة ما تأكل منها.

وكذلك حقيقته في العبودية، وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده. ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه. شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.

و«الشكر» مبني على خمس قواعد: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها وأن لا يستعملها فيما يكره فهذه الخمس، هي أساس الشكر، وبناؤها عليها فمتى عدم منها واحدة، اختل من قواعد الشكر قاعدة.

وكل من تكلم في الشكر وحده، فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور.

فقيل: حده الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

وقيل: الثناء على المحسن بذكر إحسانه.

وقيل: هو عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته وجريان اللسان بذكره والثناء عليه.

أما الثناء على المنعم، المتعلق بالنعمة فنوعان: عام، وخاص، فالعام، وصفه بالجود والكرم والبر والإحسان، وسعة العطاء ونحو ذلك.

والخاص: التحدث بنعمه، والإخبار بوصولها إليه من جهته كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [٩٣: ١١].

وفي هذا التحديث المأمور به قولان:

أحدهما: أنه ذكر النعمة، والإخبار بها، وقوله: أنعم الله علي بكذا وكذا، قال مقاتل: يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة: من جبر اليتم، والهدى بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة.

والتحدث بنعمة الله شكر، كما في حديث جابر مرفوعًا «**من صنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليثن، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور**»[(١)].

فذكر أقسام الخلق الثلاثة: شاكر النعمة المثني بها، والجاحد لها والكاتم لها، والمظهر أنه من أهلها، وليس من أهلها، فهو متحل بما لم يعطه.

وفي أثر آخر مرفوع: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر،

---

(١) رواه البيهقي بمعناه عن أبي هريرة انظر كنز العمال (٦/ ٤٦٥).

وتركه كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[(١)].

والقول الثاني: أن التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية، هو الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة، قال مجاهد: هي النبوة قال الزجاج: أي بلِّغ ما أرسلت به، وحدِّث بالنبوة التي آتاك الله، وقال الكلبي: هو القرآن، أمره أن يقرأه.

والصواب: أنه يعم النوعين، إذ كل منهما نعمة مأمور بشكرها والتحدث بها، وإظهارها من شكرها.

و«الشكر» سبيل رسل الله وأنبيائه صلى الله عليه أجمعين أخص خلقه وأقربهم إليه.

وليس من مقام أرفع من «الشكر» الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان، حتى المحبة والرضا، والتوكل وغيرها فإن «الشكر» لا يصح إلا بعد حصولها وتالله ليس لخواص أولياء الله، وأهل القرب منه سبيل ارفع من «الشكر» ولا أعلى.

وإنعام الرب تعالى على عبده: إحسان إليه، وتفضل عليه، ومجرد امتنان، لا لحاجة منه إليه، ولا لمعارضة، ولا لاستعانة به، ولا ليتكثر به من قلة، ولا ليتعزز به من ذلة، ولا ليقوى به من ضعف سبحانه وبحمده.

والشكر معه المزيد أبدًا لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [١٤: ٩] فمتى لم تر حالك في مزيد، فاستقبل الشكر.

وفي أثرٍ إلهي: يقول الله عز وجل «أهل ذكري أهل مجالستي،

---

(١) رواه الطبراني وغيره وانظر مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ٨١، ٨٢).

وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أُقنطهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب».

وقيل: من كتم النعمة فقد كفرها، ومن أظهرها ونشرها فقد شكرها.

وهذا مأخوذ من قوله ﷺ «**إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يرى أثر نعمته على عبده**»[(١)].

وأمره له بالشكر أيضًا: إنعام آخر عليه، وإحسان منه إليه إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة، لا إلى الله، والعبد هو الذي ينتفع بشكره، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [٣١: ١٢] فشكر العبد إحسان منه إلى نفسه دنيا وأخرى، فإنه إنما هو محسن إلى نفسه بالشكر، لا أنه مكافئ به لنعم الرب.

فالرب تعالى لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبدًا، ولا أقلها، ولا أدنى نعمة من نعمه. فإنه تعالى هو المنعم المتفضل، الخالق للشكر والشاكر، وما يشكر عليه، فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناءً عليه، فإنه هو المحسن إلى عبده بنعمه، وأحسن إليه بأن أوزعه شكره، فشكرها نعمة من الله أنعم بها عليه، تحتاج إلى شكر آخر وهلم جرا.

---

(١) رواه البيهقي عن أبي هريرة ورمز السيوطي لحسنه وقال في فيض القدير (٢/ ٢٠٢) قال الذهبي في المهذب إسناده جيد.

ومن تمام نعمته سبحانه، وعظيم بره وكرمه وجوده: محبته له على هذا الشكر. ورضاه منه به، وثناؤه عليه به، ومنفعته وفائدته مختصة بالعبد، لا تعود منفعته على الله وهذا غاية الكرم الذي لا كرم فوقه ينعم عليك، ثم يوزعك شكر النعمة ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك، ويجعله سببًا لتوالي نعمه واتصالها إليك والزيادة على ذلك منها.

وهذا الوجه وحده يكفي اللبيب ليتنبه به على ما بعده[1].

(١) انظر مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٢٤٢).

وجوب شكر النعم
والحذر من صرفها في غير مصارفها

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أما بعد:

فقد يبتلي الله عباده بالفقر والحاجة كما حصل لأهل هذه البلاد. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦].

كما يبتليهم بالنعم وسعة الرزق كما هو واقعنا اليوم ليختبر إيمانهم وشكرهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥] والعاقبة الحميدة في كل ذلك للمتقين الذين تكون أعمالهم وفق ما شرع الله كالصبر والاحتساب في حال الفقر وشكر الله على النعم وصرف المال مصارفه في حال الغنى. ومن الاقتصاد صرف المال مصارفه في المأكل والمشرب من غير تقتير على النفس والأهل، ولا إسراف في تضييع المال من غير حاجة وقد نهى الله عن ذلك كله قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال تعالى في النهي عن إضاعة المال ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥].

نهى الله جل وعلا في هذه الآية عن إعطاء الأموال للسفهاء

لأنهم يصرفونها في غير مصارفها فدلَّ ذلك عن أن صرفها في غير مصارفها أمر منهي عنه وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] وقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

والإسراف الزيادة في صرف الأموال على مقدار الحاجة، والتبذير في غير وجهها، وقد ابتلي الناس اليوم بالمباهاة في المآكل والمشارب خاصة في الولائم وحفلات الأعراس فلا يكتفون بقدر الحاجة وكثير منهم إذا انتهى الناس من الأكل ألقوا باقي الطعام في الزبالة والطرق الممتهنة.

وهذا من كفر النعمة وسبب في تحولها وزوالها فالعاقل من يزن الأمور بميزان الحاجة وإذا فضل شيء عن الحاجة بحث عمن هو في حاجته وإذا تعذر ذلك وضعه في مكان بعيد عن الامتهان لتأكله الدواب ومن شاء الله ويسلم من الامتهان، والواجب على كل مسلم أن يحرص على تجنب ما نهى الله عنه وأن يكون حكيمًا في تصرفاته مبتغيًا في ذلك وجه الله شاكرًا لنعمه، حذرا من التهاون بها وصرفها في غير مصارفها قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] وقال عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وأخبر سبحانه أن الشكر يكون بالعمل لا بمجرد القول فقال سبحانه ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

فالشكر لله سبحانه يكون بالقلب واللسان والعمل فمن شكر الله قولاً وعملاً زاده من فضله وأحسن له العاقبة ومن كفر بنعم الله ولم يصرفها في مصارفها فهو على خطر عظيم قد توعده الله بالعذاب الشديد، ونسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين ويمنحهم الفقه في دينه وأن يوفقنا وإياهم لشكر نعمه والاستعانة بها على طاعته ونفع عباده إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم.

موجبات الشكر

قال الشاعر:

إذا اجتمـــع الإســـلام والقـــوت للفـــتى
وكـــان صـــحيحا جســـمه وهـــو في أمـــن
فقـــد ملـــك الـــدنيا جمعهـــا وحازهـــا
وحـــق عليـــه الشـــكر لله ذي المـــن

ذكر في هذين البيتين أعظم النعم الموجبة للحمد والشكر والثناء لله رب العالمين:

١- الإسلام الذي يسلم به المسلم من الشقاوة ويفوز بالسعادة، فهو دين الله الذي خلق خلقه لأجله، وبه أنزل كتبه، وأرسل رسله، وهو الدين المقبول عند الله فلا يقبل من أحد دينا سواه، وقد أكمله الله لعباده وأتم عليهم به النعمة ورضيه منهم فلن يسخطه أبدًا، ولن يتطرق إليه نقص أبدًا، فهو الدين الشامل الكامل الذي لم يترك خيرًا إلا أمر به ولا شرًا إلا حذر منه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك، فهو دين الأمن والأمان والكمال والشمول والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

٢- ومن موجبات الشكر حصول القوت الضروري للإنسان الذي به قوام البدن وراحته وقوته ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾

[الروم: ٤٠] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وفي الحديث: «**من أصبح آمنا في سربه معافى في جسده وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**» (رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه ورمز السيوطي لحسنه).

٣- ومن أعظم النعم الموجبة للشكر صحة البدن والعقل والسمع والبصر واليدين والرجلين والعينين واللسان والشفتين وقد قيل «الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفها إلا المرضى» وقال الله تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨-١٠]. وحث النبي ﷺ على اغتنام الصحة بالعمل الصالح قبل المرض قال عليه الصلاة والسلام: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وحياتك قبل موتك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك**» (رواه الحاكم وصححه).

٤- ومن أعظم النعم الموجبة للشكر، الأمن والاستقرار في الأوطان حيث يأمن الإنسان على نفسه وأهله وماله وهو من النعم التي لا يعرفها إلا من فقدها ولا يحصل الأمن التام في الدنيا والآخرة

إلا للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فيا لها من نعم ما أجلها وأعظمها فإذا أراد المسلم أن تستقر عليه هذه النعم فليحمد الله وليشكره بقلبه ولسانه وعمله بمحبته وطاعته لله رب العالمين بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وفعل ما أوجب وترك ما حرم والإكثار من ذكر وشكره وحسن عبادته.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم لك الحمد والشكر والثناء على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة والآيات الجسيمة حيث أنزلت علينا خير كتبك وأرسلت إلينا أفضل رسلك وشرعت لنا أفضل شرائع دينك وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

والحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وأنبيائه نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين.

نعم الله العظمى وعاقبة الكفر بها[1]

النعم العظمى:

والإنسان يعيش في نعم من الله تحيط به من كل جانب ولو قضى عمره يشكر ربه على هذه النعم ما وفَّي حق نعمة واحدة منها، لذلك يأمره الله عزَّ وجل بأن يثني عليه قائلاً ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ﴾ [النمل: ٩٣] ومن السنة حديث صهيب ﷺ «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**» (صحيح مسلم).

ومبعث الشكر هو نظر الإنسان لما هيأه الله له من الأسباب والنعم العظيمة ومثل نعمه الوجود والخلق ونعمة الإيمان التي يستحق بها الجنة ونعمة التكريم وحمله في البر والبحر ورزقه من الطيبات وتفضيله على كثير ممن خلق، ومن النعم أيضًا ما أودعه الله في هذا الكون العجيب لمنفعة الإنسان وحياته وسعادته من ماء وهواء وغذاء وحيوان وغير ذلك. ومن النعم ما أودعه الله في الإنسان من العقل والسمع والبصر وما أحاطه به قبل ذلك حين كان في بطن أمه من أسباب التغذية والنماء ثم التربية على يد والديه قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

---

(١) أصول المنهج الإسلامي للشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد (٣٤٩).

ومن نعمه إحياء الأرض الميتة وإخراج الثمار منها وما عملته أيدي الناس وكذلك إنزال الحديد الذي فيه بأس شديد ومنافع للناس كما نشاهد هذه الأيام في أنواع التقنية المختلفة وفي وسائل السفر والاتصال والمعاملة بين الناس، إلى غير ذلك من النعم التي لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] وللشكر ثلاثة أركان التحدث بالنعمة ظاهرًا والإقرار بها باطنًا وصرفها في طاعة مسديها ومواليها.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] أي اذكروني بالطاعة والإخلاص والمجاهدة في الدنيا أذكركم أي أثني عليكم في الملأ الأعلى وأخصكم بالهداية ومزيد الاختصاص في الدنيا والرحمة في الآخرة، وكثرة ذكر الله تعلق القلب به ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير، وإذا أضيف إلى ذلك مطالعة آلائه ونعمائه فلا بد أن يثير ذلك باعثًا يحرك الخوف منه والرجاء فيه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن فوائد الشكر النجاة من العقوبة في الآخرة لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم: ٧] والشاكر هو الذي يشتغل لسانه بذكر الله وينشغل قلبه بحبه والتوكل عليه والوثوق بوعده وتنشغل جوارحه بعبادته عز وجل، وضد الشكر الكفر قال تعالى على لسان سليمان حيث رأى عرش

بلقيس مستقرًا عنده ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] والله غني عن عذابنا ما دمنا نشكره قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧].

الكفر بالنعمة وعاقبته:

وإذا انهمك الإنسان في معاصيه وعطل ذكر الله عز وجل وكفر أنعم الله عليه حل عليه عذابه بطرق كثيرة منها إزالة النعم، أو زيادتها استدراجًا إذا كان من الأغنياء العصاة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].

وهذا حدث لأقوام كثيرة وقد توعد الله به كثيرًا في مثل قوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٣] ومن العقوبات ذهاب البركة واحتباس المطر ومنه تسليط المخلوقات بأمر الله وبأسباب مختلفة كالطوفان والزلازل ومنه تسليط بعضهم على بعض ومنه إنزال العقوبة والعذاب من السماء أو الأرض قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ومن أنواع العذاب القلق النفسي والهموم والأمراض النفسية وفقدان الأمن الدولي والاجتماعي والنفسي كما هو الحال في بعض البلدان اليوم قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً

ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] والذي يعيد النظر ويتأمل في مصير كثير من الدول والأمم السابقة وما أصابها كما حدث لقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وكفار قريش وغيرهم يدرك نتيجة كفران النعمة والغفلة عن ذكر الله، وقد حكى القرآن الكريم نماذج متعددة تصور ما آلت إليه الأمم الجاحدة لنعم الله قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧] .

ويذكر القرآن الكريم عاقبة المكذبين وكيف انتقم الله منهم قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ويضرب لنا مثلا في قارون الذي اغتر بغناه وتجارته حينما قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ [القصص: ٧٨] حيث يقول في حقه ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

وانظر إلى هذا المثل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

والله سبحانه وتعالى قادر على أن يبدل النعمة نقمة كما حدث لسبأ في اليمن ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ

﴿أُكُلٍ خَمْطٍ[١] وَأَثْلٍ[٢] وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ[٣] قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧] ولا تدوم النعم ولا تتقيد إلا بشكر الله وذكره قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] والله أعلم.

---

(١) أكل خمط: مأكولٌ مرٌّ بشعٌ.

(٢) أثل: شجر يشبه الطرفاء لا ثمر له.

(٣) سدر: شجر النبق وهو لا ينتفع بثمره.

كيف ينظر العبد إلى نعم الله؟

الحمد لله اللطيف بعباده فيما يجري به المقدور، المدبر لهم بحكمته وعلمه في الميسور والمعسور، الذي فاضل بينهم في الذوات والصفات وجميع الأمور، ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور، وأشهد أن لا إله لا هو وحده لا شريك له في التقدير والتدبير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي فاق جميع الخلق في الصبر على الضراء والشكر عند السرور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على مر الأيام والدهور وسلم تسليمًا.

أما بعد أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالى الذي خلقكم ورزقكم وعافاكم وأنعم عليكم النعم الظاهرة والباطنة وأولاكم، فإن المؤمن لا يزال في نعمة الله إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا لهٍ، وعليكم بالقناعة فإنها كنز لا ينفد وذخر لا يفنى فهي غنى بلا مال وعز بلا جنود ولا رجال، فالقناعة أن يرضى الإنسان بما قدر الله له، وأن ينظر إلى من هو أدنى منه في العافية والمال والأهل، فإن ذلك أقرب إلى معرفة النعمة وشكرها، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم في هذه الأشياء فإن ذلك يؤدي إلى القلق وكفران النعماء، فالمعافي في بدنه أو ماله أو أهله، ينظر إلى من ابتلي بشيء منها ليعرف قدر نعمة الله عليه، وإذا كان هو مبتلى بشيء من ذلك فلينظر إلى من هو أعظم ابتلاء منه، فإنه ما من مصيبة تصيب العبد إلا وفي الوجود ما هو أعظم منها، فإذا كان غنيًا فلينظر إلى الفقير، وإن كان فقيرًا فلينظر

إلى من هو أفقر منه، ممن لا يملك الفتيل ولا القطمير، ومهما أُصيب المؤمن في شيء من دنياه فإن ذلك ليس بشيء عند سلامة دينه، الذي هو عصمة أمره في دنياه وأخراه، فدين الإسلام ولله الحمد هو الكسب الذي نعتز به ونفاخر، وهو الذخر الذي نعده لليوم الآخر، الدين هو التجارة الرابحة التي تنجي من العذاب لليوم الآخر، الدين هو التجارة الرابحة التي تنجي من العذاب الأليم، وتقرب العبد إلى المولى الرحيم، فيا أيها المبتلى اصبر على البلوى واذكر من هو أعظم منك، وأكثر ضررًا، ثم انظر إلى ما أنعم الله به عليك من الإيمان واستعن به على مقاومة المصائب بالصبر ومقابلة النعم بالشكران[1].

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

---

(١) خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين (١١٨).

وما بكم من نعمة فمن الله

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والحمد لله الذي خلقنا ورزقنا وعافانا وخلق لنا ما في الأرض جميعًا، والحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكسانا وآوانا وجعلنا مسلمين.

والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد المبعوث رحمةً للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢] ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢] وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣] وقال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤] فلله الحمد في السموات والأرض والدنيا والآخرة هو المحمود في ذلك كله.

يا أخي المسلم إذا أردت أن تعرف قدر نعم الله عليك وعلى خلقه جميعًا فأقرأ القرآن الكريم متدبرًا له، وخصوصًا سورة النحل التي تسمى سورة النعم، ففيها تفصيل لنعم الله على خلقه.

يا أخي المسلم أحمد الله تعالى واشكره على نعمة الإسلام وعلى الصحة في الأبدان وعلى الأمن وفي الأوطان وعلى نعمة الخلق والإيجاد، والإعداد والإمداد وعلى نعمة العقل والسمع والبصر والمطعم والمشرب والملبس وعلى نعمة العلم والفهم والإدراك، وعلى غير ذلك من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

اشكر الله تعالى على نعمه بالاعتراف بها باطنًا والتحدث بها ظاهرًا وصرفها في مرضاته والاستعانة بها على طاعته حتى يرضى عليك ربك ويزيدك منها ويغفر ذنبك ففي الحديث: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[(١)] من أكل طعامًا فقال: «**الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٢)] وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فاحمد الله يا أخي المسلم واشكره فإنه تعالى يحب الشاكرين، لو أحسن إليك مخلوق وفعل فيك معروفًا وصنع إليك جميلاً ألست ترى أن من الواجب عليك شكره ومكافأته والإحسان إليه وهل

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي وحسنه.

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن.

جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فكيف بملك الملوك الخالق الرازق المدبر المنعم المتفضل على عباده بأصناف النعم كلها الذي ما بالعباد من نعمة دينية أو دنيوية إلا وهي منه تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: ٥٣] وسوف يسأل العبد عن شكر ما أنعم الله به عليه ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفي الحديث: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» (رواه البخاري) يعني أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين ومن كان مقصرًا في شكر ما أنعم الله به عليه فهو مغبون، وقد ذكر عن بعض السلف الصالح أنهم كانوا يسجلون أعمالهم اليومية في دفتر فيحاسبون أنفسهم عليها قبل النوم.

فيشكرون الله على نعمه، ويستغفرون الله ويتوبون إليه من ذنوبهم اليومية القولية منها والفعلية لأنهم يؤمنون أن الله تعالى يراهم ويسمعهم ويعلم سرهم وعلانيتهم وإنه محص عليهم أعمالهم وأنها مسجلة عليهم من قبل الكرام الكاتبين وأنهم سوف يسألون عنها ويحاسبون عليها ويجزون بها كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

إذا فلنحاسب أنفسنا فيما نقول ونفعل ونأتي ونذر وفيما يخطر بقلوبنا أو تتكلم به ألسنتنا أو تنظر إليه أعيننا أو تسمعه آذاننا أو تمتد إليه أيدينا أو تمشي إليه أرجلنا وفيما نأكل ونشرب ونلبس هل ذلك كله لله أو لغيره، وهل استعنا بهذه النعم على طاعته أم على معاصيه؟ ومن أين اكتسب هذا المال وفيم أنفق ما دمنا مسئولين ومحاسبين على ذلك كله فلنحاسب أنفسنا قبل يوم الحساب كما قال عمر ابن الخطاب ﷺ «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**» (أخرجه ابن أبي الدنيا).

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرًا مما نقول. اللهم لك الحمد والشكر والثناء على نعمك العظيمة وآلائك الجسيمة حيث أنزلت علينا خير كتبك، وأرسلت إلينا أفضل رسلك، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك، وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس، وهديتنا لمعالم دينك، الذي ارتضيته لنفسك ولك الحمد على ما يسرته من أداء فرائضك من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وقيامه وحج بيتك الحرام وتلاوة كتابك العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى وينبغي له، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

شكر النعم ومحاسبة النفس

يا أخي المسلم أذكرك الله ربك الذي خلقك ورزقك وأحياك وعافاك والذي أطعمك وسقاك وكساك وآواك، والذي متعك بسمعك وبصرك وعقلك وقواك.

والذي أمنك في وطنك على نفسك وأهلك ومالك، والذي علمك ما لم تكن تعلم وفضلك على كثير ممن خلق تفضيلاً، والذي سخر لك ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، فاحمد الله يا أخي المسلم واشكره على نعمه بالاستعانة بها على طاعته لكي تستقر ويزيدك منها.

قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

يا أخي المسلم انتهز فرصة شبابك وصحتك وحياتك قبل زوالها فإن الحياة محدودة والأنفاس معدودة والأعمال والأقوال محسوبة ومكتوبة ومحفوظة وسوف تسأل عنها وتجازى عليها أتم الجزاء إن خيرًا فخير وإن شر فشر ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] وسوف تسأل عن سمعك وبصرك وما انطوى عليه ضميرك وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] كما سوف تسأل عن عمرك فيما أفنيته وعن شبابك فيما أبليته وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته وعن علمك ماذا عملت فيه فأعد للسؤال جوابًا صحيحًا.

يا أخي المسلم أخلص لله نيتك وأقوالك وأفعالك، وحافظ على

الصلوات في أوقاتها أخرج زكاة مالك إلى مستحقيها قبل أن تكون ثعبانا يطوقك في قبرك ويوم حشرك أخرج زكاة مالك قبل أن يحمى عليها في نار جهنم فيكوي بها جبينك وجنبك وظهرك حافظ على صيام رمضان بالامتناع عن المفطرات وحفظ الجوارح عن المحرمات من الكلام المحرم والنظر المحرم والسماع المحرم والأكل والشرب المحرم فإن هذه الأعمال تمنع الأجر والثواب وتذهب الحسنات وتوجب العقاب الأليم والعذاب لمن لم يتب منها ومن تاب تاب الله عليه وغفر له ورحمه وهو التواب الرحيم.

حج البيت الحرام وليكن حجك مبرورًا لتجزى به الجنة بأن تحج كما شرع الله وكما حج رسول الله ﷺ وذلك بالمحافظة على الواجبات والمستحبات وترك المحرمات والمكروهات، وعليك ببر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجيران والفقراء والأيتام، واذكر الله كثيرًا بلسانك وقلبك قائمًا وقاعدًا وعلى جنبك يذكرك برحمته ومغفرته ويثني عليك عند ملائكته واستغفره يغفر لك.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠] وقال ﷺ في الحديث القدسي الشريف «**يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك**» فهو تعالى يغفر للتائبين والمستغفرين ذنوبهم جميعًا كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً

﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥] فتب إلى الله يتب عليك ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] واحفظ الله يحفظك واتق الله حيثما كنت وادع الله يستجيب لك واسأله يعطك وكن مع الله يكن معك ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وأحسن عبادة الله كأنك تراه فإنه تعالى يراك ويسمعك ويعلم سرك وعلانيتك وأحسن إلى عباد الله بما تستطيع يحسن إليك ويرحمك ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

يا أخي المسلم انتبه لنفسك وحاسبها قبل الحساب وقبل هجوم الموت وانقطاع اللذات ودوام الحسرات ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم واغفر لنا خطايانا يوم الدين ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم آمين يا رب العالمين يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام يا قريب مجيب يا سميع الدعاء، يا واسع الفضل والعطاء، وصلى الله على محمد.

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] الله عز وجل أنعم علينا، ونعمه لا تعد ولا تحصى: نعمة الخلق والإيجاد، ونعمة الحنان الذي ألقاه في قلب الوالدين لطفلهما وهو في ضعفه وحاجته، ونعمة الحواس والجوارح، ونعمة العقل الذي ميز به الله الإنسان عن سائر الحيوان.

أرسل الرسل ليرشدونا إلى الحق وخالص الإيمان. منحنا القوة والعافية وصحة البدن وسلامة الأعضاء.

خلق للإنسان عينين، ولسانا وشفتين، وعلمه البيان والإفصاح عن قصده بالكلام بسط لنا الأرض فيها أنهار جارية، وآبار وعيون لنجد الماء العذب الذي يروي الظمأ وينتفع به الإنسان في معاشه، وفيها كل ما ينفع الإنسان من زروع ومعادن ومواد أولية، ثم إنه جعلها سهلة المسالك لتيسير حياة الإنسان عليها وتنقله في أرجائها طلبًا للرزق وسعيا وراء العيش.

وخلق لنا سبحانه سماء تظلنا فيها الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فيها النور والضياء والحرارة وفيها جمال وقدرة و إتقان فسبحان الخالق المنعم الرحمن الرحيم.

أخضع الله للإنسان أغلب الكائنات، سخر له الحيوان، وفضله على كثير من خلقه.. ثم بنعمته وفضله هدى المؤمنين إلى الإسلام.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ويقول عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨] ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

الواجب علينا:

نعم الله كثيرة، ورحمته بنا واضحة بينة، فوجب علينا أن نشكر المنعم مقرين بفضله، مؤمنين بقدرته، ورحمته، ومعترفين بالعجز عن الوفاء بشكر هذا الفيض من النعم الذي نحسه في جسومنا ونلمسه فيما حولنا، والله سبحانه وتعالى غني عن عباده وهبهم الخير وهو سبحانه ليس في احتياج إليهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

وقد أمرنا الله بشكره لنؤمن بفضله، ولنعلم أن كل خير فهو معطيه وكل فضل فهو من عنده ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: ٥٣].

أمر الله عباده بشكره، ليعلموا أن العبد ليس بيده أمر ولا نهي، وإنما هو سبب من الأسباب، وأن الناس لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ولا حياة ولا موتًا، وأن الله وحده هو الرزاق ذو القوة المتين، يعطي ويمنع ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ويغني ويفقر.

فالشكر تقديس الله وتوحيده وإفراده بالعبودية وتنزيهه وتمجيده ولذلك قرن الله الشكر بالذكر، وأمرنا به عز وجل ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]

وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ [الزمر: ٧٤] وقال سبحانه: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

والشكر بالقلب واللسان والجوارح، وشكر القلب محبة الله والإقرار بالعبودية له وحده والإيمان بأن له كل صفات الكمال ونعوت الجلال وأنه المنعم المتفضل الرازق الوهاب وأنه لا معبود بحق سواه.

وشكر اللسان ثناء وحمد وذكر الله عز وجل وإمساك عن فضول الكلام ولغوه وما لا خير فيه.

وشكر الجوارح أن يدأب المرء جوارحه في خدمة مولاه سبحانه وتعالى وأن يخضعها لمقتضى أمره ونهيه.

فالشكر صرف النعم فيما خلقت له، واستعمالها فيما شرعت لأجله، لتظهر فائدتها، وتتم حكمتها، ويجني العباد منافعها فإن شكر المرء ربه بقلبه ولسانه وعمله فهو من الفائزين.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] ويقول سبحانه ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

قال بعض الصالحين: «كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية».

وروي أن النبي ﷺ قال: «**من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبارهما فقد شكرهما**»[(١)].

---

(١) لم أجده.

ومعنى ذلك أن العبد المؤمن يوجه النعمة وجهة الخير والنفع ويستعملها فيما يسعده ويسعد العباد، وبالشكر تستقيم الأمور، وتدوم النعم، وتنعدم الشرور.

قال عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] والله سبحانه لا تضره أعمال الجاحدين المنكرين لفضله الكافرين بنعمته، كما لا تنفعه طاعة الصالحين المؤمنين الشاكرين فالشاكر تنفعه طاعته وأعماله الصالحة. قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] إن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى وواجب العاقل:

١- أن يكون إيمانه بالله صحيحًا.

٢- وأن يكون عاملاً بما أمر الله مجتنبًا معاصي الله.

٣- وألا يغفل قلبه ولسانه عن ذكر الله.

٤- وأن يوجه قوته وماله وحيلته وجهة الخير والنفع.

٥- وأن يحمد الله على كل حال.

قال الحبيب المصطفى، ﷺ حين سئل عن إجهاده نفسه في العبادة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» رواه البخاري ومسلم وقال ﷺ: «**من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**» (رواه البخاري)[(١)].

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه ورمز السيوطي لحسنه.

نسأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته وصلى الله على محمد. انتهى من خاتمة كتاب الشكر لابن أبي الدنيا للشيخ أحمد بن محمد طاحون.

حقيقة الشكر

الشكر تصور المنعم عليه النعمة وإظهارها، وهو مقلوب عن الكشر، ويضاده الكفر وهو من كفرت الشيء غطيته، ودابة شكور أي مظهرة بسمنها إسداء صاحبها إليها، وقيل أصله من عين شكري أي ممتلئة، فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه، ومن هذا الوجه قيل هو أبلغ من الحمد، لأن الحمد ذكر الشيء بصفاته، والشكر ذكر الشيء بصفاته وبنعمه، فالشكر على ثلاثة أنواع: شكر بالقلب وهو تصور النعمة، وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأته بقدر استحقاقه.

وهو أيضًا باعتبار الشاكر والمشكور ثلاثة أنواع: شكر الإنسان لمن هو فوقه وهو بالخدمة والثناء والدعاء، وشكر لنظيره وهو بالمكافآت، وشكر لمن هو دونه وهو بالثواب، وقد وصف الله تعالى نفسه بالشكر لصالح عباده، وشكر العبد له هو معرفة نعمه وبحفظ جوارحه بمنعها عن استعمال ما لا ينبغي وشكر المنعم في الجملة واجب بالعقل كما هو بالشرع، وأوجبها شكر البارئ تعالى ثم شكر من جعله سببا لوصول خير إليك على يده، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يشكر الله من لم يشكر الناس**»[1] وقال عليه الصلاة والسلام: «**أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا تزول النعمة إذا شكرت ولا دوام لها إذا كفرت**»[2].

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن حبان عن أبي هريرة والطبراني عن النعمان ابن بشير.

(٢) لم أجده.

وقال بعضهم: كل نعمة يمكن شكرها إلا نعمة الله فإن شكر نعمته نعمة منه فيحتاج العبد أن يشكر الثاني كشكره الأول، وكذلك الحال في الثالث والرابع، وهذا يؤدي إلى ما لا يتناهى، ولهذا قال موسى عليه الصلاة والسلام: إلهي أمرتني بالشكر على نعمك وشكري لك نعمة من نعمك، ومن هذا أخذ الشاعر:

إذا كـــان شــــكري نعمـــة الله نعمـــة
علـــي لـــه في مثلـــها يجـــب الشـــكر
فكيـــف بلـــوغ الشـــكر إلا بفضلـــه
وإن طالـــت الأيـــام واتصـــل العمـــر

ولهذا قيل غاية شكر الله تعالى الاعتراف بالعجز عنه بل قد قال الله تعالى: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾** [إبراهيم: ٣٤]، [النحل: ١٨].

وأيضا فكل ما يفعل الله بعبده فهو نعمة منه وإن كان بعض ذلك يعد بلية، ولهذا قال بعض الصالحين: يا من منعه عطاء وبلاؤه نعماء، ولأجل صعوبة شكره قال عز وجل: **﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾** [سبأ: ١٣] ولم يثن بالشكر على أوليائه إلا على اثنين منهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حيث قال تعالى: **﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ﴾** [النحل: ١٢١] فخص لفظ **﴿لِأَنْعُمِهِ﴾** الدال على أدنى العدد وقال في نوح عليه السلام **﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾** [الإسراء: ٣].

واعلم أن الشكر والصبر جماع الإيمان كما روي في الخبر

(الصبر نصف الإيمان)[١] لكن قال بعض المتصوفة الشكر أفضل من الصبر فإن الصبر حبس النفس إلى مسالمة البلاء، والشكر أن لا تلتفت إلى البلاء بل تراه من النعماء، فمن صبر فقد ترك إظهار الجزع، ومن شكر فقد تجاوز إلى إظهار السرور بما جزع له الصابر، وأيضًا الصبر ترك العمل السيئ والشكر إظهار العمل الحسن، وليس من ترك قبيحًا كمن فعل جميلاً وقابل تعالى الشكر بالمجازاة فعل الحبيب بحبيبه فقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥] وقابل الصبر بالأجر فعل المستأجر بأجيره فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] وأين الأجر وإن كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء، ثم قال في الصبر ﴿يُوَفَّى﴾ فلم يسم فاعله وقال في الشكر ﴿سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ فانظر إلى هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء إلى الفعال، ولم يذكر من أنبيائه بالشكر إلا اثنين كما تقدم، ووصف جماعتهم بالصبر فقال: ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وقال: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

فجعل الصبر مبدأ الشكر تنبيها ولأن الصبر محمول عليه قهرًا والشكر مؤدى طبعًا[٢].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٤) والخطيب في تاريخه (٣/ ٢٢٦) والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه الحافظ في الفتح (١/ ٤٥) وجعله من قول ابن مسعود.

(٢) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (١٤٠).

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه[١]

والشكر هو اعتراف المرء بالإحسان لذويه وإقراره بالثناء على مسديه، فجحد النعمة كفر، وإنكارها لؤم، لهذا كان من الواجب أن يشكر الإنسان المولى العلي الأعلى على تواتر نعمه ومزيد إحسانه حتى يضاعف له في رزقه ويبارك له في عمله، كما يجب عليه ألا يجحد شكر من قدم إليه صنيعًا حسنًا أو أولاه معروفًا، فإذا فعل ذلك فقد أدى الواجب واستحق العطف والمعونة متى عرته[٢] شدة أو نابته نائبه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢] وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**أشكر الناس لله أشكرهم للناس**»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في إدبارها فقد شكرهما**»[٤].

وقال عليه السلام: «**أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الدعاء والثناء فقد كافأه**»[٥].

---

(١) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق لأحمد سعيد الدجوي (٩٥).

(٢) غشيته.

(٣) رواه أحمد والطبراني والبيهقي والضياء عن الأشعث بن قيس ورواه ابن عدي عن ابن مسعود ورمز السيوطي لصحته.

(٤) لم أجده.

(٥) لم أجده.

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة رحمة والفرقة عذاب**»(١).

وعنه أنه قال: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له**»(٢).

وقال: «**أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فهي نعمة من الله عليه فإن قابلها بالشكر، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد إثمًا ويزداد الله عليه بها سخطًا**»(٣).

وقال علي كرم الله وجهه: كفر النعمة لؤم.

وقال الحسن: كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر أعظم منها فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها.

وقال عمر بن عبد العزيز: تذكروا النعم فإن ذكرها شكر.

وقال المغيرة بن شعبة: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت.

ودخل أبو هارون على بعض الحكماء فقال له: يرحمك الله ما شكر العينين؟ قال: إذا رأيت بهما خيرًا ذكرته، وإذا رأيت بهما شرًا سترته، قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إذا سمعت بهما خيرًا حفظته وإذا سمعت شرًا نسيته.

---

(١) قال المنذري: رواه عبد الله بن أحمد في زوائده بإسناد لا بأس به.

(٢) رواه أبو داود والنسائي: وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(٣) رواه ابن عساكر عن عطية بن قيس ورمز السيوطي لحسنه.

وقال عبد الحميد الكاتب: من لم يشكر الإنعام[١] فاعدده من الأنعام[٢].

وقال بعض الحكماء: من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة، ومن من[٣] بمعروفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط أجره.

وقال آخر: كفر النعمة من أمارات البطر وأسباب الغير.

وسئل بعضهم ما أضيع الأشياء؟ قال: المطر الجود[٤] في أرض سبخة لا يجف ثراها[٥] ولا ينبت مرعاها، وسراج يوقد في الشمس ضيعة تسدى إلى من لا يشكرها.

وقال بعض الأدباء: الشكر أفضل من النعم، لأنه يبقى والنعم تفنى.

وقال آخر: من أعطي أربعًا لم يمنع من أربع: من أعطي شكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي الاستشارة لم يمنع الصواب.

وقال غيره: لا تسيء إلى من أحسن إليك، ولا تعن على من أنعم عليك.

وقال غيره: من بذل بعض عنايته لك فابذل جميع شكرك له.

وقال بعض الفضلاء: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل

---

(١) النعم والصنائع

(٢) الإبل والبقر والغنم.

(٣) عد ما فعله من الإحسان.

(٤) الغزير.

(٥) ترابها.

لسانك بالشكر.

وقال بعض العقلاء: أمسكوا المعروف عن ثلاثة، اللئيم فإنه يمترل الأرض السبخة، والفاحش فإنه يرى أن الذي صنعت له إنما هو لمخافة فحشه، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه.

وقال بعض الفصحاء: الكريم شكور أو مشكور، واللئيم كفور أو مكفور.

وقال آخر: من كفر نعمة المفيد استوجب حرمان المزيد.

وقيل: قيمة كل نعمة شكرها.

وقال الشاعر:

من جاوز النعمة بالشكر لم
يخش على النعمة مغتالها[1].
لو شكروا النعمة زادهم
مقالة الله التي قالها
لئن شكرتم لأزيدنكم
لكنما كفرهم غالها[2]
والكفر بالنعمة يدعو إلى
زوالها والشكر أبقى لها

---

(١) اغتال الشيء أخذه من حيث لم يدر به أحد.

(٢) غال مثل اغتال.

وقال آخر:

شـــــكر الإلـــــه بطـــــول الثنـــــاء

وشـــــكر الـــــولاة بصـــــدق الـــــولاة[1]

وشـــــكر الـــــنظير بحســـــن الجـــــزاء

وشـــــكر الـــــدني بحســـــن العطـــــاء

وقال غيره:

أشـــــكر لا أني أجازيـــــك منعمًـــــا

بشـــكري ولكـــن كـــي يـــزاد لـــك الشـــكر

واذكـــــر أيامًـــــا لـــــدي اصـــــطنعتها

وآخـــر مـــا يبقـــى علـــى الشـــاكر الـــذكر

---

(١) المحبة.

كيفية شكر نعم الله تعالى[١]

الحمد لله المنعم الوهاب الولي الحميد، والحمد لله بجميع محامده وكما ينبغي له من التحميد.

والحمد لله الذي أمر بشكره، ووعد عليه المزيد فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] نحمده ونشهد أن لا إله إلا هو المبدئ المعيد، واشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بعث بالقرآن المجيد ﷺ وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد.

أما بعد: أيها المسلمون إن نعم الله تعالى لا يحصيها لسان، وإن نعمه لا يقوم بحق شكرها إنسان، وإن نعمه تعالى تجل عن التعداد، وإن نعمه قد شملت الحاضر والباد، فاشكروه على نعم الألسن، بكثرة الأذكار، والتضرع إليه بالدعاء والاستغفار وتلاوة كتابه العزيز في العشي والإبكار، والدعاء إلى الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن عجزتم عن ذلك فراقبوه من إطلاقها في الآثام واستحيوا من الله من استعمالها فيما حرم من الكلام، من السيئات وقول الزور والغيبة والنميمة وأيمان الفجور.

واشكروه على نعم الأبصار، بالنظر في آيات الليل والنهار، والتفكر في مخلوقات الله والاعتبار، فإن قصرتم على ذلك فاحذروا من هتك الأستار، والنظر بها على محارم الله، فإن النظر إليها من أعظم الأوزار، واشكروه تعالى على نعم الأسماع، بالإنصات لكلام

---

(١) الموعظة الحسنة للشيخ صديق حسن خان (٣١٤).

الله والاستماع، وصيانتها عما لا يحل من الملاهي، والسماع والإصغاء إلى الأخواض في الأعراض التي لا تحل بالإجماع، واشكروه تعالى على نعم الأيدي المركبة في أحسن تقويم، والمهيأة لكل نفع عميم ببسطها في مراضي الأفعال، ومحاب ربكم ذي المن والإفضال، وإياكم وبسطها في الظلم، فإن الظلم حسرة وندامة، وإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واشكروه على نعم الأقدام بالمشي إلى الطاعات، والسعي إلى الجمع والجماعات، فإن فرطتم في ذلك فاحذروا من الخطا بها إلى الذنوب والمشي بها إلى ما لا يرضاه علام الغيوب، أما تخشون أن تكون عليكم من أعدل الشهود، يوم تشهد الجوارح وتنطق الجلود، واشكروا الله على ما أنعم به من الأرزاق ببذلها في وجوه البر والإنفاق، ومواساة أولي الحاجة والإملاق، فإن بخلتم بذلك فإياكم أن تنفقوا حلالها في الحرام، وتتقووا بها على المعاصي والآثام.

فإن المعاصي مغيرات النعم، وإن المعاصي جالبات النقم، وإن المعاصي سبب هلاك من قبلكم من الأمم واشكروا الله على ما خولكم من الملبوس باستعماله لستر العورات ووقاية النفوس، وإياكم أن تلبسوه للتكبر والاختيال، والمفاخرة لأرباب الشرف والمال، واذكروا ما أعد لأهل العصيان، في الآخرة من سرابيل القطران، ومقطعات النيران، وما أعد لأهل الطاعة من السندس والعبقري الحسان، واشكروه تعالى على أعظم النعم، الذي هو الإيمان بالمحافظة على اتباع السنة والقرآن، ومكارم الأخلاق وتطهير

الجنان، وإياكم أن تلبسوه بالظلم وتضييع الحدود، والاستهانة بمحارم الله المعبود، واشكروه تعالى على نعم العلم بتبيين الحلال والحرام، وتبليغها إلى الجاهلين من الأنام، وخشية الله تعالى في كل مقام فإن عجزتم فإياكم من خلط الحرام بالحلال، والتجرؤ على الله بسيِّئ الأعمال، فقد جاء: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه**»(١). واشكروه على ما أنعم به من العقول، وما خصكم به من إرسال خير نبي ورسول، وما أمدكم به من الكتاب العربي المبين، والنور الساطع المستبين، جعلني الله وإياكم من الذاكرين ولنعمائه من الشاكرين وعلى بلائه من الصابرين، إن أفضل الكلام وأعلاه كلام الله الذي لا إله سواه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٧، ١٨].

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي وبن عدي وضعفه السيوطي والمنذري قال المناوي وله واصل أصيل عند الحاكم في المستدرك.

الشكر على النعم قيد لها وزيادة

قال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وقال: ﴿ولَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «**ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها، وما علم الله ندامة عبد على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر**»(١).

وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله ﷺ: «**يا معاذ إني أحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(٢).

نعم الله على عباده كثيرة:

أولها: توفيق الله وإرشاده إلى الهدى ثم يتبعه طهارة الباطن من الأدناس وتزيينه بالعلم وما يوجب فضيلة النفس ثم يتبعه صحة البدن وقوته، وجمال خلقته، وما هو سبب لبقائه من مال وغيره، ولو ذكرنا نعمة واحدة لما أحطنا بحواشيها فما بنا من نعمة فمن الله يتعين علينا شكر مسديها قال بعض السلف: **الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود**، وهو اعتراف القلب بنعم الله والثناء عليه بها،ومحبته لقوله عليه السلام: «**أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه**»(٣). وكفر

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

(٣) رواه الترمذي قال الألباني إسناده ضعيف.

النعمة عدم شكرها أو صرفها في غير مراضي الرب.

قرأ بعض السلف: (وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه)[١]، وقد أخبر الله جل وعلا أن العباد عاجزون عن تعداد نعمه فضلا عن القيام بشكرها فقال: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] [النحل: ١٨].

وفي صحيح البخاري أن رسول الله، ﷺ، كان يقول: «**اللهم لك الحمد غير مكفي، ولا مودع، ولا مستغنى عنه ربنا**».

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله تعالى لأصغر نعمه خذي ثمنه من عمله الصالح فتستوعب عمله كله ثم تنحى فتقول: وعزتك ما استوفيت**» الحديث [رواه البزار في مسنده].

وقد روي عن داود عليه السلام، وقيل عن موسى قال: «**يا رب؟ كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي فقال الله: الآن شكرتني يا داود**»[٢].

وقال الإمام الشافعي: الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها[٣].

---

(١) ليست قراءة وإنما ذكروها في معنى الآية (انظر تفسير الطبري ١٣/٢٢٦).

(٢) ذكره ابن رجب في لطائف المعارف ص٢٣٦ عن موسى عليه السلام.

(٣) الرسالة للإمام الشافعي بتحقيق أحمد شاكر ص ٧-٨.

قال الشاعر:

لـــو كـــل جارحـــة مـــني لهـــا لغـــة
تـــثن عليـــك بمـــا أوليـــت مـــن حســـن
لكـــان مـــا زاد شـــكري إذ شـــكرت بـــه
إليـــك أبلـــغ في الإحســـان والمـــنن

ويجب شكر من أولى معروفًا عليك فمن ذكر فقد شكر، ومن جحد فقد كفر، وفي الحديث: «**من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء**»[١].

قال الشاعر:

لا يشـــكر الله مـــن لا يشـــكر النـــاس[٢].

---

(١) رواه الترمذي وحسنه.

(٢) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة للشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي ص ٣٢٦.

سجود الشكر

(وتستحب سجدة الشكر عند تجدد نعمة ظاهرة، أو دفع نقمة ظاهرة عامتين) له وللناس (أو في أمر يخصه، كتجدد ولد أو مال أو جاه، أو نصرة على عدو). لحديث أبي بكرة أن النبي، ﷺ، «**كان إذا أتاه أمر يسر به خر ساجدًا**» [رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب]. والعمل عليه عند أكثر العلماء. وكذلك رواه الحاكم وصححه. « **وسجد، ﷺ، حين قال له جبريل –عليه السلام–: يقول الله: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه**» [رواه أحمد]. وروى البراء «**أنه، ﷺ، خر ساجدًا حين جاءه كتاب علي من اليمن بإسلام همدان**» [رواه البيهقي] في المعرفة وفي السنن، وقال: هذا إسناد صحيح.

«**ويسجد حين يشفع في أمته**» [رواه أبو داود]. وسجد الصديق حين جاءه قتل مسيلمة. رواه سعيد. وسجد علي حين رأى ذا الثُّدَيَّة من الخوارج. [رواه أحمد]. وسجد كعب بن مالك حين بشر بتوبة الله عليه. وقصته متفق عليها (وإلا) أي وإن لم تشترط في النعمة الظهور (فنعم الله في كل وقت لا تحصى) والعقلاء يهنئون بالسلامة من العارض، ولا يفعلونه في كل ساعة (ولا يسجد له) أي الشكر (في الصلاة) لأن سببه ليس منها (فإن فعل بطلت، لا من جاهل وناس) كما لو زاد فيها سجودًا (وصفتها) أي سجدة الشكر (وأحكامها كسجود التلاوة).

(ومن رأى مبتلى في دينه سجد بحضوره وغيره) أي بغير

حضوره (وقال: الحمد الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا). وإن كان مبتلى (في بدنه سجد وقال ذلك وكتمه منه. ويسأل الله العافية) قال إبراهيم النخعي «كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلى» ذكره ابن عبد البر. وروى الحاكم «**أنه، ﷺ، سجد لرؤية زمن، وأخرى لرؤية قرد، وأخرى لرؤية نغاشي**» بالنون والغين والشين المعجمتين قيل: ناقص الخلقة، وقيل: المبتلى. وقيل: مختلط العقل (قال الشيخ: ولو أراد الدعاء فعفر وجهه لله في التراب وسجد له ليدعوه فيه. فهذا سجود لأجل الدعاء. ولا شيء يمنعه. والمكروه: هو السجود بلا سبب)[1].

(١) كشاف القناع عن متن الإقناع في الفقه للشيخ منصور البهوتي.

شكر الله على نعمة الدين[١]

فاعتبر ألهمك الله الشكر، ووفقك للتقوى، إنعامه عليك فيما كلفك، وإحسانه إليك، فيما تعبدك، فقد وكلتك إلى فطنتك، وأحلتك على بصيرتك، بعد أن كنت لك رائدًا صدوقًا، وناصحًا شفيقًا، هل تحسن نهوضًا بشكره، إذا فعلت ما أمرك، وقبلت ما كلفك، كلا، إنه لا يوليك نعمة توجب الشكر، إلا وصلها قبل شكر ما سلف، بنعمة توجب الشكر في المؤتنف[٢].

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: نعم الله أكثر من أن تشترى، إلا ما أعان عليه، وذنوب ابن آدم أكثر من أن تغفر إلا ما عفا عنه.

وأنشدت لمنصور بن إسماعيل الفقيه المصري[٣] رحمه الله تعالى:

شـــكر الإلـــه نعمـــة موجبـــة لشـــكره

فكيـــف شـــكري بـــره وشـــكره مـــن بـــره

وإذا كنت عن شكر نعمه عاجزًا، فكيف بك إذا قصرت فيما أمرك، أو فرطت فيما كلفك، فعله أعود عليك لو فعلته، هل تكون لسوابغ نعمه إلا كفورًا، ومبدئه العقول إلا مزجورًا، وقد قال الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾. قال مجاهد: ورثوها عن آبائهم، أو اكتسبوها بأفعالهم. وروي عن النبي، ﷺ، أنه قال:

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٩٧.

(٢) المؤتنف: المستجد.

(٣) من فقهاء الشافعية.

«**يقول الله: يابن آدم، ما أنصفتني أتحبب إليك بالنعم، وتتمقت إلى بالمعاصي، خيري إليك نازل، وشرك إلي صاعد، كم من ملك كريم يصعد إلى منك بعمل قبيح**». وقال بعض صلحاء السلف: قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصيه، مع كثرة ما نعصيه، فلا ندري أيهما نشكر: أجميل ما ينشر، أم قبيح ما يستر؟

فحق على من عرف موقع النعمة، أن يقبلها ممتثلا لما كلف منها، وقبولها يكون بأدائها ثم بشكر الله تعالى على ما أنعم به من إسدائها، فإن بنا من الحاجة إلى نعمه، أكثر مما كلفنا من شكر نعمه، فإن نحن أدينا حق النعمة في التكليف تفضل بإسداء النعمة من غير جهة التكليف فلزمت النعمتان ومن لزمته النعمتان فقد أوتي حظ الدنيا والآخرة، وهذا هو السعيد على الإطلاق، وإن قصرنا في أداء ما كلفنا من شكره قصر عنا ما لا تكليف فيه من نعمته، فنفرت النعمتان ومن نفرت عنه النعمتان فقد سلب حظ الدنيا والآخرة، فلم يكن له في الحياة حظ، ولا في الموت راحة، وهذا هو الشقي بالاستحقاق وليس يختار الشقوة على السعادة ذو لب صحيح، ولا عقل سليم، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

وروى الأعمش عن مسلم قال: قال أبو بكر الصديق ﷺ:

يا رسول الله، ما أشد هذه الآية: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾.

فقال: «**يا أبا بكر إن المصيبة في الدنيا جزاء**».

واختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾

فقال بعضهم: أحد العذابين: الفضيحة في الدنيا، والثاني: عذاب القبر. وقال عبد الرحمن بن زيد: أحد العذابين: مصائبهم في الدنيا، في أموالهم وأولادهم، والثاني: عذاب الآخرة في النار.

الاستدراج بالنعم:

وليس وإن نال أهل المعاصي لذة من عيش، أو أدركوا أمنية من الدنيا، كانت عليهم نعمة، بل قد يكون ذلك استدراجًا ونقمة، وروى ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد ما يشاءون على معاصيهم إياه، فإنما ذلك استدراج منه لهم ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**».

الشكر لله
وأثره في سعادة الأمم[١]

عرف العلماء الشكر بأنه ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.

فالشاكر من يكون لسانه مشتغلاً بالثناء على ربه معترفًا له بنعمه، ويكون قلبه مملوءًا محبة لله على هذه النعم، وشهودًا بأنها منه فضل وإحسان، وتكون جوارحه مشتغلة بطاعة الله استسلامًا له وانقيادًا.

لهذا كان الشكر من مظاهر العبادة التي دعا إليها القرآن قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وكلمة الشكر من الكلم الجوامع التي تنتظم كل خير وتشمل كل ما يصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه. فالذي لا يحب الله ولا يشهد قلبه بأن ما فيه من النعم إنما هو من الله فضلاً وإحسانا ليس بشاكر، والذي لا يثني على ربه ولا يحمده بلسانه ويخوض في الباطل ويشتغل لسانه بلغو القول ولهو الحديث ليس بشاكر، والذي يعطيه الله من العلم شيئًا ولا يعمل به ولا يعلمه الناس ليس بشاكر، والذي يعطيه من المال ما يستعين به على طاعته بصرفه في وجوه الخير والبر ويبخل به أو يصرفه في معاصي الله ليس

---

(١) كتاب (روح الدين الإسلامي) لعفيف عبد الفتاح طيارة (١٨٨).

بشاكر[١].

لهذا دعا الله إلى التخلق بالشكر في كثير من الآيات: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦ ومدح الله نبيه إبراهيم لقيامه بواجب الشكر: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٢][٢] كما تفضل الله بعدم عذابهم ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] ووعد الله الشاكرين بأن يزيد لهم النعم في الدنيا ويحفظها لهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]

الشكر على نعم الله: والإنسان عليه واجب الشكر نحو خالقه فإن لم يفعل كان بذلك مقترفًا أشنع أنواع الجحود والنكران، ألا ترى أننا ننكر على الشخص الذي لا يسدي الشكر لمن أحسن إليه من البشر فما بالك بمن لا يسدي الشكر لخالقه مصدر كل النعم، ولا يمكن أن نكون مقربين إلى الله من غير شكره وهذا ما أمر به الله في آيات متعددة ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] ويقول سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا

---

(١) نقلا عن تفسير لبعض الآيات القرآنية للشيخ محمد مصطفى المراغي في مجلة الأزهر (١٣/ ٥٣).

(٢) أمة: إماما يقتدي به.

وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣- ٣٥]، ويقول سبحانه أيضًا: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣] ويقول سبحانه في موضع آخر: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا[1] إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١- ٧٣].

ولكن الناس أمام هذه النعم وغيرها قليلا ما يشكرون، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠].

ومنفعة الشكر لا تعود على الله فإنه لا ينتفع بشكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين وإنما منفعة الشكر عائدة على الشاكر فهو يطهر النفوس ويقربها من الله ويوجه إرادتها إلى الوجه الصالحة في إنفاق النعم في وجوهها المشروعة ولهذا يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

---

(١) سرمدًا: دائمًا متصلاً لا ينقطع.

[لقمان: ١٢].

أما كفران النعم فيعرضها للزوال لأنها تجعل المرء غير مبال بها ويبددها بدون منفعة ويتلف ما أنعم الله به عليه من نعم الصحة والعافية ويسير على غير المنهج الذي رسمه له الخالق فيؤدي به إلى غضب الله والبعد عن رحمته.

والقرآن يخبر بأن خراب الأمم كان سببه كفران النعم وعدم الشكر لله قال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

وذكر القرآن قصة قوم سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

فالشكر من دعائم سعادة الأمم، والتنكب عنه لا يجلب غير الدمار والخراب حبذا لو فهمته الشعوب وعملت به لتحصل على السعادة التي تنشدها وهي عنه غافلة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع والمصادر

١- رياض الصالحين من أحاديث سيد المرسلين ﷺ، للنووي تحقيق شعيب الأرنؤوط.

٢- مدارج السالكين لابن القيم.

٣- الذريعة إلى مكارم الشريعة للشيخ ابن القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني.

٤- فتح الخلاق بمكارم الأخلاق لأحمد سعيد الدجوي.

٥- كشاف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور البهوتي في الفقه.

٦- الموعظة الحسنة للشيخ صديق حسن خان.

٧- أصول المنهج الإسلامي للشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد.

٨- كتاب الشكر لابن أبي الدنيا بتحقيق أحمد بن محمد طاحون.

٩- خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين.

١٠- خطب الشيخ الدكتور صالح الفوزان.

١١- بهجة الناظرين فيما يصلح الدنيا والدين للمؤلف.

١٢- الثمار اليانعة من الكلمات الجامعة للمؤلف.

١٣- كلمات مضيئة للمؤلف.

١٤- الهداية لأسباب السعادة للمؤلف.

١٥- الحديقة اليانعة والبروق اللامعة تأليف محمد الصالح القاضي.

١٦- أدب الدنيا والدين للماوردي.
١٧- روح الدين الإسلامي لعفيف عبد الفتاح طبارة.
١٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١١).

الفهرس

مقدمة..... ٥
فضل الحمد والشكر..... ٧
الفرق بين الحمد والشكر ٩
سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٩
فضل الشكر ١١
منزلة الشكر ١٧
قواعد الشكر ١٩
وجوب شكر النعم..... ٢٤
والحذر من صرفها في غير مصارفها ٢٤
لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ٢٤
موجبات الشكر..... ٢٧
نعم الله العظمى وعاقبة الكفر بها() ٣٠
كيف ينظر العبد إلى نعم الله؟..... ٣٥
وما بكم من نعمة فمن الله ٣٧
شكر النعم ومحاسبة النفس ٤١
وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ٤٤
حقيقة الشكر ٤٩
ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ٥٢
كيفية شكر نعم الله تعالى ٥٧
الشكر على النعم قيد لها وزيادة ٦٠

سجود الشكر ٦٣
شكر الله على نعمة الدين ٦٥
الشكر الله ٦٨
وأثره في سعادة الأمم ٦٨
المراجع والمصادر ٧٢
الفهرس ٧٤
من منشورات دار المنار للنشر بالخرج ٧٦
سلسلة رسائل للشباب فقط ٧٦
من منشورات دار المنار للنشر بالخرج ٧٧
سلسلة رسائل في الصلاة.....٧٧

من منشورات دار المنار للنشر بالخرج
سلسلة رسائل للشباب فقط

ماذا يجب عليكم –شباب الإسلام–؟ للشيخ ابن باز

من مشكلات الشباب للشيخ ابن عثيمين

القواعد الذهبية لحفظ القرآن عبد الرحمن عبد الخالق

للشباب فقط عادل العبد العالي

الشباب والمزاح عادل العبد العالي

قصص إيمانية عادل العبد العالي

سلسلة رسائل إلى فتاة الإسلام

مصابيح مضيئة في طريق المرأة المسلمة بنت الإسلام

ماذا يجب عليك –فتاة الإسلام–؟ للشيخ الجار الله

من مخالفات النساء للشيخ عبد العزيز السدحان

تفسير قوله تعالى يا نساء النبي للشيخ ابن عثيمين

من منشورات دار المنار للنشر بالخرج
سلسلة رسائل في الصلاة

كيفية صلاة النبي للشيخ ابن باز

رسالتان في الصلاة للشيخ ابن باز

الخشوع في الصلاة للشيخ الجار الله

عظيم الأجر في صلاة الفجر عبد الله بن عبد الرحمن

لذة العبادة سعد الصالح

فضل النوافل للشيخ الجار الله

ثلاثة عشر سؤالا وجوابا حول السترة والمرور بين يدي المصلي محمد بن رزق الطرهوني